لمـــــاذا
الرسم العثماني
فـــي المـــصحف؟

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا ومِن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدِّين.

وبعد:

فنشكر للإخوة القائمين على مركز محمَّد سالم بن بخيت لتحفيظ القرآن الكريم وعلومه على استضافتهم لي في هذا المسجد المبارك؛ لإلقاء هذه المحاضرة الَّتي هي بعنوان (لماذا الرَّسم العثماني؟) مع كوكبةٍ مِن مُحفِّظي هذا المركز المبارك.

لو سَأَلَنَا سائلٌ فقال: (لماذا الرَّسم العثماني؟) فإنَّ مِن البدهيات الَّتي ينبغي أنْ نجاوب عليها: أنَّ هذا الرَّسم توقيفيّ.

وربَّما يكون هذا الكلام صعبًا، لكنَّه مِن حيث الدِّلالة الشَّرعيَّة والواقعيَّة هو الصَّحيح؛ فالرَّسم العثمانِيُّ رَسْمٌ توقيفيٌّ بدلالة أنَّ مِن أسماء القرآن: (الكتاب).

ما معنى (الكتاب)؟

(الكتاب) مصدر؛ (كَتَب يكتب كتابًا).

والمصدر كثيرًا ما يَرِد بمعنى (اسم المفعول)؛ إذن (الكتاب) بمعنى (المكتوب).

فالقرآن مكتوب.

وسواءٌ قلنا: إنَّه – أي القرآن – الكتاب المكتوب:

* باعتبار ما سيكون في عهد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عهد الصَّحابة؛ فهو مكتوب.

* أو باعتباره مكتوبًا في اللَّوح المحفوظ وفي صحائف الكرام البَررة بأيدي سَفَرة، أو في البيت المعمور – كما قال ابن عبَّاس –؛ فهو مكتوب.

ولهذا قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القرآن الموجود بين الدَّفتين هو الموجود بين اللَّوحَيْن في اللَّوح المحفوظ)؛ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ *﴾ [الواقعة:٧٧، ٧٨].

ما معنى ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ *﴾ [الواقعة:٧٨]؟

المصدر على بابه أفاد المصدريَّة.

أو الآية تحتمل التَّفسيرات الثَّلاث:

- ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ *﴾ [الواقعة:٧٨]: أي في مكتوبٍ محفوظٍ مَصون.

- ويحتمل أنْ يكون بمعنى فِعْله: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ *﴾ [الواقعة:٧٨]: أي كُتِب في مكانٍ محفوظٍ.

وكلُّ هذه المعاني واردة عن السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ورضي عنهم.

وهذه المسألة لا يجوز التَّنازُل عنها؛ فالرَّسم العثمانِيُّ، رسم المصحف الإمام: رسمٌ توقيفيٌّ.

ولهذا؛ يقول ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمَّا كان النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعالج شِدَّةً مِن التَّنزيل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ *﴾ [القيامة:١٧].

والمعنى كما قال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لا تشقّ على نفسك؛ فتُحرِّك به لسانك لتجمع ما تسمع في قلبك؛ فعلينا جَمْعه وقرآنه؛ جَمْعه في قلبك، وقراءته في قلبك.

وهذا التَّفسير السَّلفيُّ تفسيرٌ ثابتٌ جَلِيٌّ عن حَبْر الأُمَّة، لكنَّه ليس مِن باب تفسير اللَّفظ بمفرده الوحيد؛ وإنَّما هو مِن باب تفسير اللَّفظ بمعناه بأحد مفرداته، وإلَّا فمعنى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧] أعمُّ مِن هذا المعنى.

فهذا الَّذي نراه اليوم مِن المصاحف الَّتي تُكتَب في بلاد المسلمين في مجامعَ وهيئاتٍ يُشرِف عليها أُناسٌ مختصُّون ليخرج لنا المصحف كما أُنزِل: هذه كلُّها داخلة في معنى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧].

وما هؤلاء الَّذين يطبعون هذه المصاحف إلَّا آلاتٌ يستحقُّون الشُّكر؛ فلَهُم الشُّكر مِنَّا ومِن أهل الإسلام، وجزاؤهم عند الرَّحمن أعظم.

إذن الرَّسم العثمانِيُّ توقيفيٌّ؛ فكُتَّاب الوحيِّ الَّذين كانوا يكتبون للنَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

إمَّا أنَّ القرآن الَّذي يسمعونه مِن النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيكتبونه تجري أقلامهم وأياديهم على هذه الصُّورة؛ فيكون ذلك مُرادًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وعندما يُقرُّ النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الكاتب على الكتابة، وعندما لا يُنزِل الله أمرًا بإزاحة كَتْب فلان وكتابة فلان = فذلك دليلٌ على الإقرار؛ إذن كيفما جرى قلم الكاتب فهو إقرارٌ مِن ربِّ العالَمين.

وعلى هذا: ينبغي أنْ يُحمَل حديث أبي داودَ وغيرِه: أنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**اقْرَؤُوا كَيْفَ شِئْتُم**» وفي رواية عند أبي داودَ: «**اكْتُبُوا كَيْفَ شِئْتُم؛ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، غَفُورٌ رَحِيمٌ، غَيْرَ أَلَّا تَخْتِمُوا آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَآيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ**».

ما معنى هذا الكلام؟

معنى هذا الكلام عند علماء أهل الإسلام: أنَّ القلم لا يجري إلَّا بما يريده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إذا كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أجرى القلم – الَّذي يُسمِّيه بعض العلماء (قلم الأزل) –؛ فلمَّا خلق الله قلم الأزل قال له: «(**اكْتُبْ**)، **قَالَ**: (**وَمَا أَكْتُبُ؟**) **قَالَ**: (**اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**)»؛ فكان ممَّا كَتَب: هذا المصحف.

فكذلك أقلام الكاتبين الَّذين كانوا يكتبون للنَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وممَّا يُستأنس به في هذا الباب – وإنْ كان السَّند ضعيفًا، لكن هذا للاستئناس والاعتضاد، وليس للاعتماد؛ وإلَّا فقد سَبَق ما يدلُّ على أنَّ كَتْب الوحيِّ توقيفِيٌّ –: ما رواه الإمام الآجُرِّي في كتاب «الشَّريعة»: أنَّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال له: (اتَّخِذ معاوية كاتبًا؛ فإنَّه أمين).

ومعنى هذا: أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا إذ كان يختار لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأصحاب يختار له الكُتَّاب.

وممَّا يُقرِّر أصل هذه المسألة (أنَّ الرَّسم العثمانِيَّ توقيفِيٌّ): أنَّ القرآن كلَّه بلا استثناء بالإجماع كُتِب في عهد النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا لم يختلف عليه أحدٌ مِن علماء المسلمين.

وليس الأمر كما قيل في الإنجيل: (أنَّه كُتِب بعد عشرات السِّنين أو مئات السِّنين)، أو في كتابة التَّوراة: (أنَّ النَّاس كتبوا مِن محفوظاتهم بعد كم سنة).

فالقرآن كلُّه مِن ألِفه إلى يائه، بل وناسخه ومنسوخه: كان مكتوبًا في زمن النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولهذا كان لا بدَّ مِن العَرْضة الأخيرة؛ الَّتي جاء ذِكْرها في «الصَّحيحين» مِن حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها: أنَّ جبريل كان يُدارِس النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلِّ رمضان مَرَّة، والعام الَّذي تُوفِّي فيها دَارَسه القرآن مرَّتين.

فينبغي أنْ تفهم أنَّ **مِن مضامين معنى المُدارسة**: التَّقديم والتَّأخير، والنَّاسخ والمنسوخ، والمُجمَل والبيان، وغير ذلك مِن المعاني.

لو قال لنا قائل: (ما المقصود بالرَّسم العثمانِيِّ؟).

المقصود بـ (الرَّسم العثمانِيِّ): هو ما قاله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكَتَبة المصحف.

فالخلفاء الرَّاشدون الأربعة: كلُّ واحدٍ منهم له إسهامٌ خاصٌّ في كَتْب المصحف وجَمْعه:

* فـ (عُمر) أشار إلى (أبي بكر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إذن جُمِع المصحف في عهد أبي بكر في مكانٍ واحدٍ بعدما كان في عهد النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُفرَّقًا عند هذا وهذا وهذا – عند أبي بكرَ، وعُمر، وعثمان، وعليٍّ، وزيدٍ، وابن مسعودٍ، وأُبَيٍّ وغيرهم – بإشارةٍ مِن عُمَر.

* وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَع المصحف على التَّرتيب في العَرْضة الأخيرة؛ وهذه أهمُّ المَيْزات في جَمْع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والَّذي يقرأ «صحيح البخاريِّ» في (كتاب فضائل القرآن) يُدرِك الفرق بين الجَمْع الأوَّل والجَمْع الثَّاني.

والرَّكيزة الثَّانية الَّتي ارتكز عليها جَمْع عثمان: أنَّه جَمَع النَّاس على رَسْمٍ؛ لم يكن الأمر كذلك في جَمْعه الأوَّل.

ولهذا قال للكُتَّاب؛ الَّتي في عُرفنا اليوم: تُسمَّى لجنة مراجعة المصحف؛ فأوَّل لجنة لمراجعة المصحف: كانت في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورئيس هذه اللَّجنة: هو عثمان نفسُه، وهو أحد الكُتَّاب في زمن النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو الخليفة الرَّاشد الثَّالث، وزوج ابنتيه فلُقِّب بـ(ذي النُّورَيْن).

فقال للكُتَّاب: (إذا اختلفتم أنتم وزيد) زيد أنصاريٌّ، والآخَران مِن المهاجرين مِن قريش (فاكتبوه بلُغة قريش؛ فإنَّ القرآن أوَّل ما أُنزِل أُنزِل بلُغة قريش) قانون؛ فجرى القلم على ذلك.

إذن المقصود بـ(الرَّسم العثمانِيِّ): عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس كما يذهب إلى ذِهْن بعض النَّاس: أنَّ المقصود: الخلافة العثمانيَّة؛ هذا غير صحيح بالإجماع.

إذا كان الأمر كذلك: نرجع إلى أصل سؤالنا: (لماذا الرَّسم العثمانِيُّ؟).

ربَّما أحد المُحفِّظين يقول – وإنْ كان إنْ شاء الله هذا بعيد عنكم، لكن هذه كانت دِعاية؛ دعا إليها بعض مَن يُسمِّي أنفسهم بالمتنوِّرين، أو بالعَقلانِيِّين، أو بالمستشرقين؛ دعوا وبقوَّة في حياة العلَّامة مُحدِّث عصره أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في مصر النَّاس إلى كتابة المصحف بالرَّسم الإملائِيِّ.

وكم أنواع (الرَّسم)؟ الرَّسم: يعني الكتابة.

(الرَّسم): ثلاثة أنواع:

* الرَّسم العثمانِيُّ: تَعَبُّديٌّ، وإعجازيٌّ.
* والرَّسم الخاص بالعَروض؛ ويُسمَّى رَسْم الشُّعراء.
* ورَسم الإملاء المعروف.

رسم الإملاء المعروف يتطوَّر، وقابل للتَّطوُّر.

رسم العروض للشِّعر غير قابل للتَّطوُّر.

ورسم المصحف غير قابل للتَّطوُّر.

فإذا قال لنا قائل: (لماذا الرَّسم العثمانِيُّ؟) نَرُدُّ عليهم بما رَدَّ عليه علماء الإسلام؛ وهذا هو لُبُّ هذه المحاضرة.

فنقول: نحن نُحفِّظ أولادنا على الرَّسم العثمانِيِّ كما حَفِظنا القرآن على الرَّسم العثمانِيِّ؛ لأنَّ ذلك يعني ...

هُم يَحْفَظون على الرَّسم العثمانِيِّ، وأنت حفظتَ على الرَّسم العثمانِيِّ، وشيخك حَفِظ على الرَّسم العثمانِيِّ، إلى أنْ تَصِل إلى النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - الَّذين كتبوا بين يدي رسول الله على هذا الرَّسم -؛ فصار المصحف متواترًا رَسمًا.

إذن الجواب الأوَّل عن (لماذا الرَّسم العثمانِيّ؟): نقول: حِفاظًا على تواتره التَّصوُّريِّ الفوتوغرافِيِّ.

والعجيب - وهذا مِن عناية المسلمين بالمصحف، وهو مِن جَمْع الله للقرآن، وإحقاق حق وعده، وتحقيق أَمْره وخَبَره ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧]-: أنَّ المسلمين لا سيَما القُرَّاء المُختصُّون منهم ما اكتفوا بمجرَّد التَّصوُّر العَينيِّ والحِفظ الذِّهنيِّ للرَّسم العثمانِيِّ؛ بل ألَّفوا مؤلَّفات لضَبط هذا الرَّسم.

والعجيب أنَّ هذه المؤلَّفات كانت قديمة، وليست مؤلَّفات عصريَّة فقط.

فمِن أوائل مَن ألَّف في هذا الباب: «كتاب المصاحف» للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود السِّجستاني.

إذن هذا الجواب الأوَّل: (لماذا الرَّسم العثمانِيّ؟) ليبقى التَّواتُر؛ نستلم المصحف رسمًا وصورةً - مِن وإلى - حتَّى يبقى الإسناد متواترًا.

أمَّا مِن حيث المعنى: فلأنَّه توقيفيٌّ.

والتَّوقيف: لا يجوز فيه التَّغيير.

لأنَّ التَّوقيفيَّ: يعني تَعبُّديّ.

فحينئذٍ لمَّا يكتب عثمان طه الخط يتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ بكَتْبه.

لمَّا يكتب فلان زيد بن ثابت المصحف: فهو يتعبَّد الله بكَتْبه.

إذن هو تَعَبُّديٌّ.

لا يجوز أنْ تُغيِّر الصُّورة التَّعبُّديَّة.

ألَّا ترون أنَّ الصَّلاة عبادة، ما يجوز للمسلمين أنْ يجعلوا ركعات العصر - مثلًا - خمسًا بدلًا أربعة، ولا يجوز أنْ يقرؤوا الفاتحة مرَّتين.

فلا يأتيك أحد ويقول: (ما المشكلة؛ الفاتحة شيء عظيم لماذا لا نقرأها مرَّتين؟!)؛ فالتَّعبُّديُّ يبقى تَعَبُّديًّا.

إذن لماذا الرَّسم العثمانِيّ؟

لأنَّه توقيفيٌّ، ولأنَّه به يبقى التَّواتُر.

ثالثًا: لأنَّه بالرَّسم العثمانِيِّ حُفِظ مِن التَّغيير والتَّبديل.

تأمَّلوا معي لو كان رَسمه على صورة إملاء خطوط النَّاس: لكان يمكن أنْ يطرأ عليه التَّغيير مع كلِّ تطويرٍ.

وهذا أَمْر عجيب جِدًّا.

مَن يتأمَّل يجد أنَّه منذ ألف وأربعمائة سنة: المصحف هكذا.

فإذا كان أبو بكر جَمَع، وعُمر أشار عليه، وعثمان رَسَم، وعليٌّ نَقَّط = إذن هذا معناه بقي الأمر على هذا الشَّيء؛ فالقرآن حُفِظ بالرَّسم العثمانيِّ مِن التَّغيير ومِن التَّبديل؛ مِن حيث تغيير المعاني؛ لأنَّه لو كُتِب بإملاءات جديدة متطوِّرة لتَغَيَّرت المعاني.

وأيضًا (لماذا الرَّسم العثماني؟):

نقول: **خامسًا**: لأنَّه الرَّسم الوحيد القادر على تَحمُّل أوجُه القراءات والأَوْجُه المَرْويَّة عن النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في التِّلاوات.

فمثلًا: كلمة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]: لو كُتِبت (مالك) بالألف: لَمَا كان يمكن للقارئ أنْ يقرأها (مَلِك يوم الدِّين)؛ لأنَّ (الألف) تمنعه مِن أنْ يقرأها هكذا.

فلمَّا حُذِفت الألف وبقي الرَّسم (م، ل، ك) ﴿مَٰلِكِ﴾: جاءت الرِّوايات المتواترة: (مالِك يوم الدِّين) و(مَلِك يوم الدِّين)؛ فجاءت الرِّوايات على الوجهين.

إذن الرَّسم العثمانيُّ رَسْمٌ يضبط الأوجه، ويضبط التِّلاوات والقراءات.

والصَّحيح مِن أقوال أهل العلم: أنَّ هذا الرَّسم كلُّ ما وَافَقَ رَسْمه فهو مِن القرآن الَّذي كان في العَرْضة الأخيرة.

وكلُّ ما خالف رَسْمه: فإنَّه يُعتَبر شاذًّا؛ كما قال ابن الجَزَريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيانه لشروط القراءة الصَّحيحة: (أوَّل شيءٍ: موافقة رسم المصحف الإمام).

ويقصدون بـ(الإمام): عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أو (الإمام): وَصْفٌ آخَر للمصحف.

فيجوز هذا، ويجوز هذا؛ فأنت تقول: (رسم المصحف الإمام): أي مصحف عثمان بن عفَّان؛ فـ(الألف واللَّام) يرجع إلى عثمان بن عفَّان.

أو أنَّ (الإمام): وَصْفٌ آخَر للمصحف؛ مثلما تقول: (زيدٌ العالِم الفَرَضِيُّ)؛ فـ (العالِم): صفة، و(الفَرَضِيُّ): صفة.

هذه مسألة مهمَّة عظيمة.

لماذا الرَّسم العثماني؟

نقول: لأنَّه مُعجِزٌ؛ هذه كلمة عجيبة جدًّا.

الرَّسم العثمانِيُّ: كلُّما تأمَّله المُنصف يجد أنَّه مُعجز.

ولْنضرب أمثلة على هذا حتَّى لا نطيل عليكم.

لو قال لنا قائل: (ما وجه الإعجاز في الرَّسم العثمانِيِّ؟) فنقول مثلًا: **إنَّ الرَّسم العثمانِيَّ يدلُّ على الإعجاز مِن عِدَّة نواحٍ**، ليس مِن ناحية واحدة:

* مِن ناحية الحذف.

* ومِن ناحية الإثبات.

فمثلًا: مِن ناحية الحَذْف: تجد أنَّ هناك ألفات محذوفة في الرَّسم العثمانِيِّ: (يا بني آدم): لا يكتبون (ألفًا) بعد (الياء)؛ لا زيد ولا مَن معه – أي لجنة المصاحف –.

(يا أيُّها الَّذين آمنوا):

* في غير الرَّسم العثمانِيِّ تكتب (يا) ثمَّ (ألف) ثانية عليها (الهمزة).

* في الرَّسم العثمانِيِّ: (يأيُّها) وليس فيها (ألفين)؛ حُذِفت (الألف).

عندما تتأمَّل في هذا الحَذْف تجد أنَّه – كما قال الزَّركشيُّ وغيره ممَّن ألَّفوا في علوم القرآن –: إنَّما جاء الحذف سواءً كان بـ (ألف) أو حتَّى بـ (واو)، أو بـ (ياء)، أو بحرف؛ للدَّلالة على سرعة الفعل إنْ كان فِعْلًا؛ فإنَّ حَذْف الحرف يعني سرعة الوقوع.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۞﴾ [القمر:٦]: حُذِفت الآن؛ فدلَّ على سرعة وقوع ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [القمر:٦].

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر:٦]: حُذِفت (الياء) في (الدَّاعي).

إذن هذا دليل على أنَّ المقصود: أنَّ الفاعل جاهزٌ بسرعة، وأنَّ الفعل يقع بسرعة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحديد:٢٨]: ليس فيها (ألف)؛ لأنَّ العبيد مهما بَعُدوا فهُم مِن ربِّهم قريبون؛ لا يحتاج إلى ألف مَدِّ الصَّوت (يا).

فقد يقول قائل: (أنتم تَمدُّون).

نحن نَمُدُّ سماعًا لا خَطًّا؛ فنقول: (يا) لأنَّنا ننادي، وإلَّا فالأصل: لا يوجد (ألف).

تأمَّل مثالًا آخَرًا مِن أوجُه الإعجاز في الرَّسم العثمانِيِّ:

- **كلمة (نِعْمة)**: كيف جاءت في القرآن إذا كانت مقطوعة عن الإضافة؟

جاءت على صورتين:

* إذا فتحتم المصاحف تجدون أنَّها في بعض الأماكن بـ(تاءٍ مربوطة).

* وفي بعض الأماكن بـ(تاءٍ مفتوحة).

- **و(رحمة)**:

* في بعض الأماكن بـ(تاء مربوطة).

* وفي بعض الأماكن بـ(تاء مفتوحة).

- **(جَنَّة)**:

* في بعض الأماكن بـ(تاءٍ مربوطة).

* وفي بعض الأماكن بـ(تاءٍ مفتوحة).

- **(امرأة):**

* في بعض الأماكن بـ(تاءٍ مربوطة).

* وفي بعض الأماكن (امرأت) بـ(تاءٍ مفتوحة).

وهذا لا يمكن أنْ يأتي اعتباطًا؛ كما ذكره بعض الكُتَّاب: أنَّ النَّاس كانوا بدائيين فكتبوا هكذا!!

لا؛ لمَّا تتأمَّل ما يُسمَّى بالجَمْع والسَّبْر: لو جمعت هذه تجد أنَّ هذه الكلمات لا تأتي مربوطةً (نِعمة، جَنَّة، رحمة، امرأة) إلَّا إذا كان المعنى مُقيَّدًا مُنضبطًا محدودًا.

ولا تأتي مفتوحة إلَّا إذا كان المعنى مُطلَقًا غير مُقيَّدٍ ولا محصورٍ.

و(امرأت): لأنَّها مفتوحة اليد، ما تزوَّجت إلى الآن.

والأمثلة كثيرة.

لكن هذا أَمْر عجيب جِدًّا في القرآن الكريم.

(التَّابوت): اختلفوا في كيفيَّة كتابته: هل يكتبونه (التَّابوه) بـ(الهاء)، أو (التَّابوة) بـ(التَّاء)؟

فكتبوه بعد ذلك بـ(التَّاء المفتوحة).

القياس الإملائيُّ: إمَّا تُكتَب بـ(الهاء)، وإمَّا أنْ تُكتَب بـ(التَّاء المربوطة)؛ خالف الرَّسم العثمانِيَّ هذا وهذا مِن الوجهين؛ فما كُتِبت لا بـ(الهاء) ولا بـ(التَّاء المربوطة)؛ وإنَّما كُتِبت بـ(التَّاء المفتوحة)؛ لأنَّهم بعد ذلك فُتِح لهم الباب.

فهذه مسائل إنَّما هي فقط بعض الإشارات إلى أنَّ الرَّسم العثمانِيَّ رَسْمٌ مُعجَزٌ في نَفْسِه، مُعجِزٌ للإملاء.

نحن نتحدَّى إلى اليوم وإلى قيام السَّاعة الإملائيِّين: أنْ يكتبوا لنا رسمًا بهذه الطَّريقة؛ تُجاري المعنى والمبنى وتؤدِّي إلى المعاني، لا يقدرون.

غاية ما عند الإملائيِّين: الجَمَال الشَّكلِيّ مع ضياع المعنى.

لذلك عندما تدخل في بعض المساجد: تجد أنَّهم كتبوا آية وتقرأها لمدَّة ربع ساعة لتفهم ماذا كتبوا، ولا تعرف؛ وذلك لأنَّهم قَصَدوا الرَّسم الجَمَالي.

فالكاتب إذا كان يكتب وينظر إلى الجَمَال يُضيِّع المعنى.

ولذلك حتَّى البلاغِيِّين عندما يتكلَّمون بالبلاغة الجَماليَّة يُضَيِّعون الكثير مِن المَعالِم، وهذه قضيَّة عظيمة.

نَفْس الكلام موجود في الوصل والفصل.

فمثلًا: في الرَّسم العثماني: تجد الكلمات أحيانًا مفصولة، وأحيانًا تجد الكلمات نفسها موصولة.

مثلًا: (أنَّ ما): في بعض المواضع مشبوكة (أنَّما)، وفي بعض الأماكن مفصولة (أنَّ ما)، وتُقرَأ بنَفْس القراءة؛ عندما تتأمَّل في المعنى مِن حيث النَّظَر السَّطريِّ إلى الخطوط: تُدرِك أنَّه:

* لمَّا كان المقصود الوصل: وُصِل بين الحرفين.

* ولمَّا كان المقصود الفصل: فُصِل بين الحرفين.

وهذا مَن ينتبه له؟! الخَلْق لا يقدرون؛ وإنَّما أجرى الله عَزَّوَجَلَّ أقلام الكُتَّاب على هذا المِنوال.

وهذه قضيَّة عظيمة.

فإذن القبض والبسط في القرآن في الرَّسم، والوصل والفصل في القرآن في الرَّسم، والحذف والزِّيادة في القرآن، والبدل: كلُّ هذا دليلٌ على أنَّ القرآن الكريم مُعجَزٌ في رَسْمه.

عندما تقرأ: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٧]: يكتبونها بـ (الصَّاد) وبـ (السِّين)، لكن ينطقونها بـ (السِّين).

فلا بدَّ أنْ تُدرِك أنَّ هناك معانٍ إعجازيَّة.

ثمَّ أخيرًا لو قال لنا قائل: (لماذا الرَّسم العثمانِيّ؟) نقول: لأنَّه أضبط لصَوْن القرآن عن تَلاعُب النَّاس.

وهذه قضيَّة مهمَّة.

تخيَّلوا معي لو أنَّ القرآن كان يُكتَب بقواعد إملاء النَّاس: كلُّ واحد يجلس في بيته ويكتب.

لكن لمَّا قيل لهم: (لن نقبل مِن المصاحف إلَّا ما كان منضبطًا برَسْم المصحف الإمام، برَسْم مصحف عثمانَ) ... امتنع كثير مِن الكُتَّاب عن كَتْب المصاحف؛ فصار هذا سببًا في حِفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للقرآن الكريم.

أختم حديثي هذا بسؤال؛ وهو: حُكم كتابة المصحف بغير رسم الإمام.

وهذه مسألة مهمَّة.

أمَّا السَّلف قديمًا مُطبِقون، والخلف جمهورهم على اتِّباع السَّلف: أنَّه لا يجوز كَتْب المصحف بغير الرَّسم العثمانِيِّ.

وأنَّه إذا كُتِب لا يُلتَفَت إليه، أي لا يُعتمَد عليه، لا يُحفَظ منه القرآن؛ فلا يجوز لكم وأنتم مُحفِّظون أنْ تُحفِّظوا النَّاس القرآن مِن مصحفٍ كُتِب على غير الرَّسم العثمانِيِّ.

وهذه قضيَّة مهمَّة.

لا بدَّ مِن كتابة القرآن على الرَّسم العثمانِيِّ.

أمَّا كتابة الآية أو الآيتين، أو كتابة القرآن للتَّعليم، أو كتابة القرآن للامتحانات – وهي لا تكون كُلِّيَّةً وإنَّما جزئيَّةً، لا تكون عامَّةً وإنَّما خاصَّة بَعضيَّة –: فهذا لا بأس به.

ولهذا؛ نجد في تفاسير القرآن الكريم: كتابة بعض السَّلف الآية والآيتين على خلاف الرَّسم العثمانِيِّ.

لكنَّهم كانوا يحثُّون النَّاس...، هو نَفْس الإمام الَّذي وجدنا عنده الآية والآيتين على خلاف رَسْم المصحف العُثمانِيِّ نجد عنده تنصيصًا أنَّه لا يجوز قراءة المصحف إلَّا بالرَّسم العثمانِيِّ.

ولهذا قلنا: نُفرِّق بين كتابة المصحف – فلا يجوز إلَّا بالرَّسم العثمانِيِّ – وبين كتابة الآية والآيتين؛ فالأمر في ذلك واسعٌ إنْ شاء الله؛ لأنَّ الآية والآيتين والآيات إنَّما تُكتَب لأجل التَّعليم أو لأجل الاستشهاد أو لأجل الاختبار ولا يُقصَد بذلك التَّعبُّد.

أمَّا ما كان المقصود منه التَّعبُّد: فهذا لا يجوز إلَّا أنْ يكون بالصُّورة الَّتي تركنا عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

أخيرًا: أودُّ أنْ أختم هذه المحاضرة بأبياتٍ لأحد المشايخ الشَّناقطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ جميلة جِدًّا؛ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبياته:

وَالخَطُّ فِيهِ مُعْجَزٌ لِلنَّاسِ ... وَحَائِدٌ عَنْ مُقْتَضَى القِيَاسِ

قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِتِلْكَ المَنْزِلَه ... دُونَ جَمِيعِ الكُتُبِ المُنَزَّلَهْ

لِيَظْهَرَ الإِعْجَازُ وَفِي المَرْسُومِ ... مِنْهُ كَمَا فِي نَظْمِهِ المَنْظُومِ

نسأل الله الكريم؛ رب العرش: أنْ يجعلكم مِن الَّذين هُم مِن لَبِنات البناء في حِفْظ هذا الكتاب وفي صَوْن هذا المصحف الإمام، وأنْ يجعلكم مِن حُفَّاظ كتابه والمُعلِّمين له والنَّاشرين له.

وصلِّ اللَّهمَّ وسلِّم وبارك وأَنْعِم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

الأسئلة

السُّؤال: إذا كانت مُعلِّمة القرآن تُدرِّس صباحًا ومساءً، ولا يتبقَّى لها وقت لقراءة وِردها مِن القرآن؛ حيث ترجع لأشغال بيتها: فهل ساعات تعليمها للقرآن في آيات الدَّوام تُغني عن وِردها؛ حيث تختم وردها في صلاتها؟

الجواب: ينبغي أنْ نفهم أنَّ معنى (الوِرد) في القرآن: ليس هو أنْ تفتح المصحف فتقرأه لتُحسَب لك وِرْدًا؛ ليس هذا المقصود.

بل جاء في الحديث – وقد حَسَّنه الحافظ ابن كثير في «مُقدِّمة تفسيره» -: أنَّ وفدًا جاؤوا إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يأتيهم بعد العِشاء فيُعلِّمهم، فتأخَّر عليهم يومًا، فلمَّا جاء قالوا: (يا رسول الله؛ لا زلنا ننتظرك وقد تأخَّرت علينا) قال: «**أَتَانِي وَفْد بَنِي فُلَان؛ فَأَشْغَلُونِي عَنْ وِرْدِي فِي النَّهَار؛ فَكَرِهْتُ أَنْ آتِيَكُم قَبْلَ أَنْ أَقْرَأَ وِرْدِي**».

قال العلماء: إنَّما كان يقرأ وِرده حِفظًا.

إذن قراءة الوِرد:

* إمَّا أنْ يكون حِفْظًا.
* وإمَّا أنْ يكون مِن المصحف.
* وإمَّا أنْ يكون في الصَّلاة.
* وإمَّا أنْ يكون تعليمًا.
* وإمَّا أنْ يكون سماعًا.

خمسة أنواع.

فكيفما ختمتَ القرآن بهذه الصُّوَر الخمس فأنت تُعتبَر صاحب وِرْدٍ إنْ شاء الله.

ولو كتبته أيضًا، لكن بشرط: أنْ يكون الكَتْب بالرَّسم العثمانِيِّ.

السُّؤال: هل مِن الممكن أنْ تُبيِّن لنا الفوارق بين المعتزلة، والأشاعرة، والسَّلف الصَّالح: في صفة كلام الله تَعَالَىٰ؟

الجواب: نحن في الرَّسم العثماني، ولا علاقة لهذا السُّؤال بموضوع الدَّرس.

على كلِّ حال؛ هناك مِن أهل البِدَع – عياذًا بالله – مَن يقولون: إنَّ الله لا يتكلَّم!

وهذا وَصْفٌ لذي الجلال والإكرام بالنَّقص! تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

لا يُوصَف بأنَّ له كلام – بزَعْمهم – إلَّا لمَّا خَلَق شيئًا اسمه (الكلام)؛ فصار متكلِّمًا بعد أنْ أَوْجَدَ الكلام!!

أمَّا أهل السُّنَّة: فإنَّهم يقولون: إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذا الجلال والإكرام قبل وجود الموجودات؛ فهو الخالق قبل أنْ يَخْلُق؛ لم يَزْدد بخَلْقهم شيئًا؛ كما قال الإمام الطَّحاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهو الرَّحيم قبل أنْ يُوجَد مَن يرحمهم، وهو المُتكلِّم قبل أنْ يُوجِد مَن يتكلَّم معه، وهو القويُّ قبل أنْ يُوجد آثار قُوَّته، وهو العَلِيُّ قبل أنْ يُوجِد المخلوقات الدُّونيَّة السُّفليَّة.

هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

أمَّا المعتزلة وغيرهم: فضلالهم في قولهم: (إنَّ الله لم يكن كذلك إلَّا بعد أنْ أَوْجَدَ المخلوقات فسُمِّي خالقًا وسُمِّي متكلِّمًا)! والكلام عندهم مخلوق!

أسأل سؤالًا: إذا كان هذا الرَّجل متأثِّرًا بهؤلاء الَّذين يُسمُّون أنفسهم بـ(المتنوِّرين): هل يمكن لمخلوقٍ أنْ يقول لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]؟! أين عقله؟!

كيف مخلوق يقول لموسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه:١٢]؟! شيء عجيب.

كيف مخلوق يأتي يوم القيامة ويفصل بين العِباد ويقول: (يا عبادي)؟! كيف؟!

فمجرَّد قُبْح هذا الكلام يجعلك تُدرِك شَناعة هذا القول.

أمَّا الأشعريَّة: فإنَّهم يقولون: (إنَّ الله يتكلَّم) لكنَّهم يزعمون أنَّ كلامه نَفْسِيٌّ، أي أنَّه لا يتكلَّم بصوتٍ وحرف، ولا يتكلَّم بالعربيَّة، ولا بالعِبريَّة، ولا بأي لغةٍ شاء؛ فيُقيِّدون الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كتَقَيُّد المخلوق؛ فالمخلوق لا يستطيع أنْ يتكلَّم بأي لغةٍ شاء؛ إنَّما يتكلَّم بما علَّمه الله وأَنْطَقه الله.

أمَّا الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذي خَلَق اللُّغات وأَوْجَد اللَّهجات هو قادرٌ أنْ يتكلَّم بما شاء.

عند أهل السُّنَّة والجماعة: الله يتكلَّم بأي لغةٍ شاء، مع مَن شاء، كيف شاء، إذا شاء، متى شاء.

مَن يستطيع أنْ يُقيِّده وهو سُبْحَانَهُ الغَنيُّ الحميد جَلَّ في عُلاه؟!

تكلَّم مع السَّماوات والأرض؛ فقال لهما: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [فُصِّلَت:١١]، ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت:١١].

تكلَّم مع الجنَّة والنَّار؛ فقال للجنَّة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي؛ أُدْخِل فِيكِ مَنْ أَشَاء**»، وقال للنَّار: «**أَنْتِ غَضَبِي؛ أُدْخِلُ فِيكِ مَنْ أَشَاء**».

تكلَّم مع جبريل؛ فقال: «**يَا جِبْرِيل**».

تكلَّم مع آدم؛ فقال: «**يَا آدَم**».

مع النَّار، مع...، مع...، مع...

فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ وهي العقيدة السَّنِيَّة الظَّاهرة الجَلِيَّة؛ الَّتي نستطيع أنْ نقولها أمام الخَلْق.

السُّؤال: ...

الجواب: مَن كَتَب المصحف بالرَّسم العثمانِيِّ فهو يُؤجَر؛ كمَن طَبَعه بالرَّسم العثمانِيِّ يُؤجَر.

لكن أَجْر القرآن – أيُّها الإخوة – دائمًا على مراتب ومراحل:

* مَن قرأ، أو كَتَب، أو سَمِع: يأخذ أَجْرًا واحدًا.
* مَن قَرَأ وتَدَبَّر: يأخذ أجرين.
* مَن سَمِع وتَدَبَّر: يأخذ أجرين.
* مَن كَتَب وتَدَبَّر: يأخذ أجرين.
* مَن قَرَأ وتَدَبَّر وعَمِل: يأخذ ثلاثة أجور.
* وهكذا مَن سَمِع وتَدَبَّر وعَمِل: يأخذ ثلاثة أجور.
* وهكذا مَن كَتَب وتَدَبَّر وعَمِل: يأخذ ثلاثة أجور.

ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَؤُوا البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَان؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْم القِيامَة**» يعني قراءتك «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَان**» أَوْ «**فِرْقَان مِن طَيْرٍ صَوَاف**».

لماذا جعلهم ثلاثًا؟

لأنَّ النَّاس في قراءة القرآن على ثلاث مراتب؛ فبحسب قراءتك تكون الظُّلَّة عليك.

الطالب:..

فضيلة الشيخ: حتَّى مَن سَمِع، وحتَّى مَن كَتَب.

السُّؤال: ما حُكم رَسْم الأُوردو؟

الجواب: تقصد المصحف المطبوع في باكستان: أنا شخصِيًّا لا أرى إجازته، لا أرى جواز كتابته.

والعلماء الَّذين أدركوا هذا: أفتوا لهم بأنَّه لا يجوز.

فيه اختلاف عن الرَّسم العثمانِيِّ؛ لذلك قلت: لا يجوز.

السُّؤال: ورد في الأثر: أنَّ بعض نساء السَّلف اجتهدنَ فكَتَبن القرآن بأيديهنَّ مِن حِفْظهنَّ: فهل يُعتبَر ذلك شيئًا مُستحبًّا أو يتعبَّد به المسلم؟

الجواب: هذه مسألة جميلة.

قد جاء في بعض الآثار أنَّ بعض نساء السَّلف وبعض السَّلف مِن الرِّجال أيضًا كانوا يكتبون المصاحف لأنفسهم: فهل لهم في ذلك أجر؟

لا شكّ؛ يكفي أنَّ الإنسان يجلس بالسَّاعة والسَّاعتين والثَّلاث، وسنتين وثلاث وأربع وخمس في كتابة المصحف؛ فكيف لا يكون له أجر؟!

ما دام أنَّ الإنسان مع المصحف بأي طريقة فلَهُ أَجْر.

ومِن العجائب في هذا العصر: أنَّهم أخرجوا مصحفًا وليس عليك إلَّا أنْ تُمرِّر القلم فيُكتَب؛ فقد وضعوا نقاط في مكان الكتاب وعليك فقط أنْ تُمرِّر القلم، فمِن الممكن أنْ تُخطِئ ثمَّ تُصحِّح.

فلا شكَّ أنَّ في كتابة المصحف أَجْر.

لكن أُفيد فائدة أخرى هنا، والَّذين أدركوا زماننا يعرفون هذه الفائدة: مُروا طُلَّابكم بكتابة المصحف؛ فإنَّ الكتابة أثبت للحِفظ.

ومُروهم أنْ يكتبوه المصحف المضبوط على الرَّسم العثماني سطرًا وحَرْفًا؛ والله هذا أضبط في الحِفظ.

أنا أذكر لمَّا كنت صغيرًا كانوا يعطوننا لوحًا، الأستاذ ما يكتب، الأستاذ يكتب على السَّبُّورة ويأمرنا نحن نكتب على سبُّورتنا؛ فكيفما كتب الأستاذ نكتب مثله، كأنَّنا نرسم، فهي ليس كتابة كأنَّها رسم، ثمَّ نحفظ.

السُّوَر الَّتي حفظتها مِن اللَّوح إلى الآن ما أنساها، ولا أنسى حتَّى أين مواقفها وأين بدايتها.

لكن السُّوَر الَّتي لم نحفظها مِن طريق اللَّوح: هذه تُنسَى إذا لم نُراجِع.

السُّؤال: كيف تَمَّ حل الخلاف في القراءات بين بعض الصَّحابة؟ مِثل مَن قرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞﴾ [الليل:٣]، ومَن قرأ ﴿وَٱلذَّكَرِ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞﴾ [الليل:٣]؟

الجواب: سؤال وجيه: كيف ارتفع الخلاف بين الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

مِثل ما جاء عن أبي موسى وابن مسعود: أنَّهما كانا يقولان: ﴿وَٱلذَّكَرِ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞﴾ [الليل:٣]، وأنَّ أهل الشَّام – ومنهم معاذ بن جبل – يقولون: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞﴾ [الليل:٣]، والمصحف الإمام فيه: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞﴾ [الليل:٣].

ومِثل هذا وقريبٌ منه: ما يُروى عن ابن مسعود: أنَّه لم يكن في مُصحفه المُعوِّذَتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

كيف ارتفع الخلاف؟

ارتفع الخلاف بأمرين اثنين:

الأمر الأوَّل: القُوَّة العِلميَّة؛ الَّتي نُسمِّيها الإجماع.

فلمَّا رأى ابن مسعود القوَّة العِلميَّة أنَّ الصَّحابة كلّهم مالوا إلى العَرْضة الأخيرة وتركوا قراءته لأنَّه لم يكن مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العَرْضة الأخيرة استغرب: (كيف يَكتب القرآن رجلٌ صغيرٌ كان يلعب بذؤابة عمامته وأنا تُرِكت؟!)؛ فتبيَّن له أنَّهم ما اختاروه إلَّا لحكمةٍ؛ فرَجَع بالقُوَّة العِلميَّة (الإجماع).

ولهذا قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كما رواه ابن أبي داودَ في كتاب «المصاحف»، والآجرِّي في «الشَّريعة»: (عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: يا أيُّها النَّاس؛ لا تقولوا في عثمانَ إلَّا خيرًا، والَّذي فَلَق الحَبَّة وبَرَأ النَّسمة ما فَعَل الَّذي فَعَل إلَّا عن مَلَإٍ مِنَّا).

يعني عثمان لمَّا جَمَع المصحف: كان يوجد سبعة مِن العشرة المُبشَّرين بالجنَّة؛ عبد الرَّحمن بن عوف، علي، طلحة، والزُّبير، وسعد، وسعيد، وهو.

والصَّحيح: أنَّ هؤلاء السَّبعة كلّهم كانوا كَتَبة الوحي، مِثل الثَّلاثة الأوَّلين (أبي بكر، وعمر، وعثمان) وأبي عُبَيْدة.

السَّبب الثَّاني: قوَّة السُّلطان؛ فإنَّ الله يزع بالسُّلطان ما لا يزع بالقرآن.

فأَمَر عثمان بحَرْق المصاحف الأخرى قَصْرًا وجَبْرًا؛ لِمَ؟

قال: اليوم أنتم تفهمون أنَّك يا ابن مسعود كتبت متتابعات تفسير، بعد ثلاثمائة سنة يأتي شخص ولا يفهم أنَّ هذا هو التَّفسير؛ سيقول: (هذا مِن القرآن)!!

وأنت يا أُبَيّ بن كعب كتبت المصحف وأنت تعلم أنَّ هذا مِن المنسوخ؛ فالَّذي يأتي بعد مائة سنة أو أكثر فإنَّه لا يدري أنَّ هذا منسوخ.

فأَمَر بحَرْق كلّ المصاحف قَهْرًا.

فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته في الكوفة بعد وفاة عثمان بسنوات: (يا أيُّها النَّاس؛ لا تقولوا في عثمان: "حَرَّاق المصاحف"؛ فوالله ما فَعَل الَّذي فَعَل إلَّا عن مشورةٍ مِنَّا، ولو كنت مقامه لفعلتُ الَّذي فَعَل).

فهل يرى المسلمين يختلفون ويسكت؟!

ولذلك نحمد الله الَّذي لا إله إلَّا هو، وهو أهلٌ للحمد والثَّناء: أنْ هَيَّأ عثمان وحُذَيفة؛ فجَمَعوا النَّاس على هذا المصحف.

كم يعاني العلماء الآن في الذَّبِّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الموضوعة؛ بينما نحن مرتاحون في المصحف؛ فلا يحتاج لهذا.

تخيَّل لو أنَّ المصاحف الَّتي كتبها الصَّحابة موجودة اليوم؛ فالعلماء سينشغلون بها كلّ يوم؛ وهذا شيء غريب.

فالحمد لله أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكفَّل بحِفْظ القرآن والسُّنَّة؛ فهَيَّأ هؤلاء العلماء.

ثمَّ مشايخنا أقرأ منِّي وأعلم منِّي في باب القراءات – الدُّكتور إبراهيم موجود، والشَّيخ موجود، وكلُّكم موجودون –؛ فكلُّكم تعلمون أنَّ أسانيدنا ترجع إلى أبي عبد الرَّحمن السُّلَمِيّ عبد الله بن حَبِيب.

فقد قرأ عبد الله بن حَبِيب على ابن مسعود، أُبَيّ بن كعب، علي بن أبي طالب، عثمان بن عفَّان، وزيد؛ خمسة مِن عُمَد الصَّحابة قد قرأ القرآن عليهم.

فلماذا قراءاتنا الآن: حفص عن عاصم، شعبة عن عاصم، القراءات العشرة، السَّبعة، المُتمِّة الأربعة عشر؛ كلُّها فيها المُعوِّذتين؟

فمعناها أنَّ ابن مسعود رجع، وأُبَيّ رجع، فكلُّهم رجعوا إلى هذا المصحف؛ ولذلك سُمِّي بـ (المصحف الإمام).

ما معنى (الإمام)؟

أي الَّذي يُقتَدَى به في التِّلاوة، ويُقتَدى به في العلم: بأنَّ ما ليس فيه منسوخ، ما لا يوافقه لا يُعتبَر قرآنًا، إلَّا بقيد كلمة (قرآن).

وفَصَّلت هذه المسألة في كتابي «المسائل العَقَديَّة المتعلِّقة بالقرآن الكريم» في المجلَّد الأوَّل منه، في (حُكم القراءات الشَّاذَّة).

السُّؤال: البعض في بعض البُلدان: الأُمِّيُّ الَّذي لا يُحسِن القراءة والكتابة يُمرِّر أصبعه على الآيات ويقرأ مع كلِّ آية: آية الكرسي؛ فهل يُشرَع ذلك؟

فهو لا يُحسِن القراءة والكتابة لكن يُمرِّر أصبعه مِن أوَّل المصحف إلى آخِره يظنُّ أنَّه يختم.

الجواب: هذه مسألة مهمَّة: هل يجوز للأُمِّيِّ الَّذي لا يعرف القراءة والكتابة: أنْ يضع يده أو أصبعه على المصحف ويقلب الصَّفحات ويقرأ آية الكرسي حتَّى يظنّ أنَّه خَتَم القرآن؟

الجواب: أنَّ هذا مِن البِدَع والمُحدَثات.

لكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سَهَّل علينا – مثلما ذكر قبل قليل الشَّيخ محمَّد هشام –: أنَّه يمكن أنْ يشتري القلم الَّذي إذا مَرَّره يسمع الصَّوت المكتوب؛ فهذا أحسن؛ فيختم القرآن سماعًا مع إمرار القلم؛ فيحصل ما يريد مِن خَتْم القرآن لكن سماعًا.

والله تَعَالَىٰ أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.